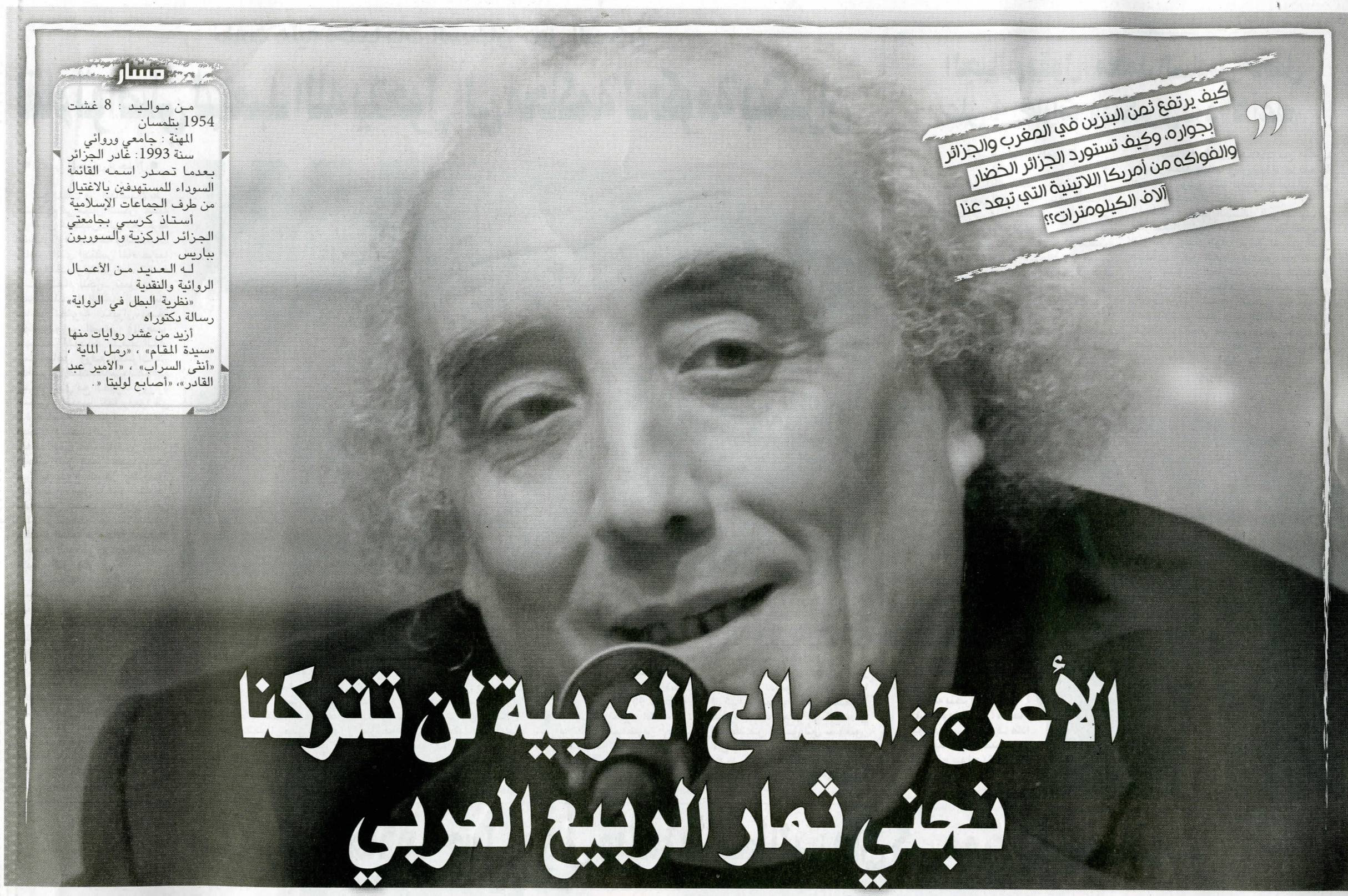

مسار

من مواليد : 8 غشت 1954 بتلمسان
المهنة : جامعي وروائي
سنة 1993: غادر الجزائر بعدما تصدر اسمه القائمة السوداء للمستهدفين بالاغتيال من طرف الجماعات الإسلامية
أستاذ كرسي بجامعتي الجزائر المركزية والسوربون بباريس
له العديد من الأعمال الروائية والنقدية
«نظرية البطل في الرواية» رسالة دكتوراه
أزيد من عشر روايات منها «سيدة المقام» ، «رمل الماية ، «أنثى السراب» ، «الأمير عبد القادر»، «أصابع لوليتا « .

كيف يرتفع ثمن البنزين في المغرب والجزائر بجواره، وكيف تستورد الجزائر الخضار والفواكه من أمريكا اللاتينية التي تبعد عنا آلاف الكيلومترات؟؟

الأعرج: المصالح الغربية لن تتركنا نجني ثمار الربيع العربي

واسيني الأعرج أحد أهم الأصوات الروائية في الوطن العربي . الروائي المنفي اختياريا بباريس يكتب باللغتين العربية و الفرنسية . في هذا الحوار ، يتحدث المثقف الجزائري الموزع بين الجزائر وباريس عن ذاكرتنا المشتركة وعن مستقبلنا ، يتحدث عن ربيع عربي يكاد يتحول إلى خريف ، ويدعو المثقف المغربي والجزائري إلى جبهة ثقافية تحاول رأب الصدع بين البلدين ، صاحب رواية « جملكية آرابيا » ينتقد ويحن يرفض ويسامح يفتح قلبه ذي الهوى المغاربي ويعمل عقله الباريسي ، في هذا الحوار واسيني الأعرج يبوح لقراء « أخبار اليوم » بكل شئ . . تقريبا

■ حاوره: **محمد أحمد عدة** ■

□ ماهو الدور الذي يمكن أن تلعبه الرواية في التأريخ لثقافة ما؟

• أولا يجب ان نتفق منذ البداية أن بين التاريخ والرواية فواصل وخصوصيات وأيضا نقاط مشتركة لكن التاريخ يشتغل على ماهو حقيقي وواقعي ولا دور للتخييل أو للفردي فيه، بينما الرواية تعتمد بشكل كبير على الخيال وعلى التقنيات الإبداعية، لكن هذا لا يمنع من تداخل الرواية مع علوم أخرى كعلم الاجتماع وعلم النفس وكذلك مع الأجناس الأخرى، الرواية ليست وثيقة تاريخية لكنها تستطيع تسجيل ذبذبات اللحظة التاريخية. التاريخ بدوره يمنح الرواية حضورا خارجيا ينضاف إلى الاعتمالات الداخلية التي تهتم بها الرواية. فمثلا عندما كتبت قصة «الأمير عبد القادر» اطلعت على أزيد من 400 وثيقة تاريخية، لكنني أثناء بحثي لم أجد الإحساس أو العواطف، لم أجد كيف يواجه قائد أو بطل مشاعر النصر والهزيمة، كيف يحاور مثلا حصانه أو جنوده أو حبيبته، هذه الأشياء لا يمكن للتاريخ أن يقولها، عندما نقرأ ل»بلزاك» أو ل»زولا» أو للكتاب الروس تجد تسجيلا للحظة الإنسانية داخل عصر بكامله وهنا يكمن التماس بين التاريخ والرواية.

□ هل فعلا ينسحب الشعر لصالح الرواية في ثقافتنا العربية؟

• سؤالك يصادف اشتغالي على ورقة حول الشعر العالمي ومآلاته، الشعر يعيش حالة ارتباك لكنه لا يموت، فهو أي الشعر لحظة عفوية لحظة الطفولة الأولى حيث يكون الإحساس الداخلي هو المهيمن، البشرية بدأت طفولتها شاعرة وهذا يمنح الشعر دورا تأسيسيا. نعم هناك سطوة الرواية الآن، وأنا أسميها امبريالية الرواية، فمن حيث السوق والمنطق التجاري تستطيع الرواية أن تجد مكانها بسهولة في عالمنا اليوم، الرواية تختلف عن الشعر في كونها حالة عمومية وتتحدث عن وضعيات تمس قطاعات كبيرة من المجتمع عكس الشعر الذي يسعى إلى توصيف حالة شخصية محضة للإشارة فقط انحسار الشعر ظاهرة عالمية وليست مخصوصة في العالم العربي.

□ أنتم إضافة إلى عدد من الكتاب المغاربيين كنتم دائما في تماس مع الثقافة الفرنسية. ماهي حدود هذا التثاقف في الوعي الإبداعي المغاربي؟

• العلاقة مع فرنسا لا تحددها الخيارات الفردية لكن تحددها الخيارات التاريخية، فمنذ الأربعينات خرجت جماعة من الروائيين المغاربيين من مظلة «ألبير كامي» وكل الكتاب الأجانب المقيمين بالمنطقة. و كان هناك نوع من التماهي خصوصا و أن الوسيط اللغوي العربي كان محاربا. الأجيال التي جاءت فيما بعد وكانت لها فرصة تعلم اللغتين معا أصبحت علاقتها بالفرنسية علاقة نفعية براغماتية، ومرتبطة بحالات معينة، وبعدهم جاء جيل كانت العلاقة بالعربية ثقافة ولغة مرتبطة بالوطنية والشعور القومي، لكن في الجيل الحالي هناك بعض التطرف في اختيار الثقافة أو اللغة من منطلقات أخرى..ما اعتقد أنه خطير هو أن بعض الكتاب المغاربيين الذين يكتبون بالفرنسية عوضوا الثقافة الاستشراقية يكتبون عن مجتمعاتهم بنفس الطريقة التي تصف وترصد العادات والتقاليد والوقائع الاجتماعية. أنا لا أحب هذه الكتابة وأعتبر أنها آيلة إلى الزوال.

□ عانيت من التطرف والأصولية ما حذا بك إلى مغادرة الجزائر كيف عشت هذه التحولات؟

• قوة الإنسان تكمن في قدرته على تحويل المأساة إلى ملهاة، بالنسبة لي استطعت بواسطة الرواية أن أحكي هذا التاريخ وأحاور هذه العشرية السوداء التي أكلت من خيرات الجزائر وأبنائها، لم تكن في نيتي الخروج سنة 1993. كانت سنة عصيبة، قضيتها متخفيا، أقضي يومي في البحث عن مخبأ رفقة أسرتي. وفي إحدى اللحظات، استدعاني صديق للاشتغال معه في فرنسا على قاموس عربي فرنسي لمدة شهر، لكنني رفضت لأن المدة غير كافية وظروفي لم تكن تسعفني فوفر لي دعوة لمدة ستة أشهر، وهكذا أصبحت فرنسا المنفى المؤقت الذي استمر. اشتغلت ب»السوربون» لكنني أعود إلى الجزائر لإلقاء الدروس بالجامعة وهو أمر افعله بشكل نضالي.

□ تعيش متنقلا بين باريس والجزائر هل لتجربة الاغتراب دور في صناعة الروائي بداخلك؟

• أعيش بين قطبين وأنا موجود وسط صراعات وخصوصيات لابد لك أن تعيشها، لست منفيا لكنني جئت إلى فرنسا في ظروف سيئة، ورغم ذلك، طرحت سؤالا» كيف يمكنني أن استفيد من الشمال و كيف يمكنني أن أفيد الجنوب؟». أدرس بالسوربون و أحاول أن أنقل معارف الشمال إلى طلبتي بالجزائر، المنفى الاختياري يعلمني أن أعيد تصنيع نفسي ورغم أني أكتب بالعربية فإنني لا أعيش خارج هذا العالم. هذا الإحساس يجعلك تغير نموذجك في الكتابة وربما في الصياغة.

□ كيف يمضي واسيني الاعرج يومه في باريس؟

• الأيام في باريس أكثر انتظاما، فأنا مرتبط بمواعيد العمل يومي الخميس والجمعة، ألقي دروسي صباحا، وبعد الظهر التقي بطلبة أشرف على رسائلهم، لكن بعد السابعة مساء من كل جمعة أتحرر من كل هذا، وأزور أصدقائي في مقاهي باريس، وخلال الأسبوع أخطط لبرنامج المسارح والمعارض التي سأزور، أخطط لكثافة الأنشطة بباريس والتي لا أتمكن من متابعتها كلها، أحب أيضا كرة القدم وأتابع حاليا كأس أوروبا للأمم، أبرمج لقاءات مع أصدقائي المثقفين العرب، لكنني أحب أيضا المنزل والجلوس في مكتبتي.. في المكتبة ينتفي الموت وأستطيع محاورة «بلزاك» و»تولستوي» وكل الكتاب الكبار.

□ و كيف تمضي يومك في الجزائر؟

• كلما ذهبت إلى الجزائر أعيد ترتيب الأشياء خصوصا في العشرين سنة الأخيرة، حيث بدأت معالم الحياة تتغير، عليك أن تكون دقيقا

> **قوة الإنسان تكمن في قدرته على تحويل المأساة إلى ملهاة**

وأن تتسلح بهذه الأحاسيس: مثلا أعيد التأمل في الطيور والنباتات، ورغم أني لا أرتاح في الجزائر حيث يمتلئ جدول مواعيدي بالندوات والمحاضرات والمنتديات إلا أنه تعب لذيذ وممتع، تصور أحيانا بعد صدور رواية أو كتاب لي أزور كل مدن الجزائر على شساعتها، هذه الدينامية لا أمارسها ككاتب فقط بل كمواطن يساهم فيما يحدث محليا ومغاربيا وعربيا.

□ كثيرا ما يطرح على المثقف العربي سؤال الحداثة في علاقتها بأطروحات أخرى ك»الحداثة والأصولية» و «الحداثة والهوية»، و «الحداثة والآخر». أين هو واسيني الأعرج من هذا النقاش؟

• مشاريعنا الحداثية كلها فشلت، الأصولية تتقوى بشكل مقلق بغض النظر عن الآراء التي تبحث في أسبابها التاريخية أو جذورها. نحن أمام مشاريع عربية كانت طموحة، لكنها للأسف اختفت، الأصولية لا تحمل مشروعا حياتيا، بل إنها شكل من أشكال القدامة. الحداثة لم تترسخ بعد لأننا بدأنا الحداثة بقطع الأشجار من جذورها، انظر إلى مجموعة أمريكا اللاتينية «ماركيز» و»بورخيص» وأليندي بدؤوا حداثتهم بمقولات صغيرة مؤسسة على عمق الثقافة الأصلية، أتذكر مقولة لبورخيص « كلما نزلت نحو الجذور شعرت بأني أعلو» وهو كلام دقيق. كيف نريد أن نعيش الحداثة على أنقاض تاريخنا، لست ضد المنجز الغربي فهو منجز إنساني لكن يجب أن نبني حداثتنا بتوليف كل العناصر المحلية دون الانفصال عن الكونية. ما أنجز سابقا يحتاج إلى نقد حقيقي وهي دائرة مستقلة، ستقول لي حتى الأصولي يطالب بالرجوع إلى الماضي، لكنه يقدم ذلك على أنه ممارسة مطلقة. الحداثي الأصيل هو من يعود إلى الماضي بمراجعة نقدية، السؤال هو ماذا استطيع أن أقدم ككائن موجود بين قرنين، ما هو دوري من حيث الإضافة، العودة إلى الجذور والارتباط بالحاضر برؤية ناقدة ومبدعة في نفس الوقت.

□ بين الجزائر والمغرب أكثر من علاقة جوار. هناك وشائج مشتركة هناك جسدان بقلب واحد، في الوقت الذي فشلت فيه الديبلوماسية السياسية على مدى عقود، هل يمكن أن تلعب ديبلوماسية المثقف دورا في رأب صدع السياسي؟

• المسألة معقدة جدا، للمثقف دور كبير من المبدأ في خلق آليات للتقارب، هناك وشائج كما قلت قوية، هناك أيضا نوع من التكامل الكبير بين المغرب بإمكانياته الزراعية والثقافية وبين الجزائر بإمكانياتها الطبيعية، مثلا كيف يرتفع ثمن البنزين في المغرب والجزائر بجواره، وكيف تستورد الجزائر الخضار والفواكه من أمريكا اللاتينية التي تبعد عنا آلاف الكيلومترات؟؟

المثقف يستطيع أن ينبه إلى هذه المشاكل، كيف يستمر المثقف المغاربي في وضع كهذا؟ هل علينا أن نرتهن للقرار السياسي؟ لقد طال هذا الصراع ونحن بحاجة إلى تغيير ذلك، أؤكد لك أنه رغم كل شيء هناك تواصل ثقافي رفيع والأجيال الجامعية تتواصل فيما بينها، في البرامج والشراكات والمهرجانات الثقافية، يجب تجميع هذه الجهود حتى نصبح قوة ضاغطة في اتجاه الأفضل لشعبينا..

□ كيف كنتم تراقبون الربيع العربي؟

• لست ضد ما جاءت به الثورات العربية، بل أعرف أن هذا جاء استجابة لمعطى تاريخي معين هناك ظلم وتعفن ودكتاتوريات طال بها الزمن، حتى سادت مقولة الإنسان العربي يقبل بكل شيء. لقد ورثوا بلدانهم وجعلوا منها «جملكيات» و كأننا في العصر المملوكي، لكننا للأسف رومانسيين ونعتقد أن الثورات ستغير كل شيء، وننسى أننا نوجد في مكان تقاطع المصالح القوى الغربية لن تتركنا نجني ثمار الربيع العربي، في تجربة ليبيا أصبح ربيعا دمويا، لا أفهم الثورة بالوكالة، رغم تضحيات الشعب التي احترمها لكنني لا استطيع التغاضي عن التدخل الأجنبي، لقد كان من الممكن إجراء تحول ديموقراطي في ليبيا تدريجيا، انتعشت اليوم القبليات والتطرف و لا ندري ما الذي سيحدث في ليبيا.

في سوريا لا أدافع عن النظام، فالأنظمة متشابهة في عدم ارتباطها بشعوبها، لكن السؤال هو هل الثورة هدفها الإطاحة بالنظام أم الإطاحة بالدولة وخوض حرب أهلية، فكرة الفوضى الخلاقة لم تأت بنتيجة في العراق، وأرجح أن يتم نقلها إلى سوريا، مع الأسف الربيع بدأ ربيعا و بدأ يتحول إلى خريف.

□ ما جديد مشروعك الكبير المتمثل في كتابة التاريخ العربي روائيا؟

• أعكف على كتابة عدد من الروايات تتناول تاريخ المنطقة في القرن العشرين وحتى لحظتنا الراهنة، قريبا سأصدر عملا في جزأين بعنوان «رماد الشرق»، القارئ العربي فقد ثقته في المؤرخ الذي لم يعد يهمه سوى التقرب من أصحاب السلطان والنفوذ، وترسخت لديه فكرة التاريخ يكتبه المنتصر، الرواية عكس التاريخ اذا فقدت علاقتها بالحرية تفقد جنسها، طبعا أكتب في إطار السؤال القديم الجديد لماذا تخلف العرب وتقدم غيرهم؟، مع الإشارة إلى أنه لا يوجد نموذج عربي قوي نتشبث به، عكس البلدان الأوروبية التي رغم الأزمة تجد مرجعها السياسي في النموذج الأوروبي الحضاري الحداثي والديموقراطي، و في نفس الآن اليونان تعاني لأنها أجبرت أن تكون غربية وهي ذات عمق شرقي، لكن القدر يعيد الأشياء إلى لحظتها الأولى.

لوليتا الرواية التي قرأها مليونا قارئ

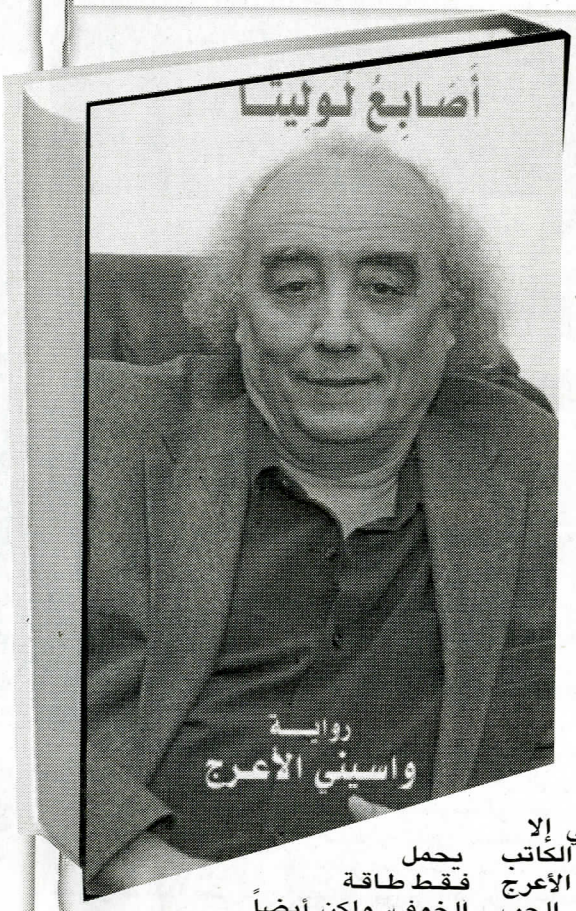

مرة قال الروائي الجزائري الكبير واسيني الأعرج، «إن كثيراً من الروايات ذات الأحجام الصغيرة والتي تقتصد بقوة في اللغة والكلام، غيرت وجه العالم الأدبي، ولا تزال حتى اليوم كرهانات أدبية عالية القيمة»، هكذا تبرز رواية أصابع لوليتا التي أخرجها إلى العالم واسيني الأعرج في مارس المنصرم عن مجلة دبي الثقافية، الرواية التي قرأها أزيد من مليوني قارئ جسدت قصة مليئة بالمفارقات والعواطف المشحونة بالتناقضات، يصعب تصنيف الرواية لتعدد مناحيها الفلسفية والرومانسية والسياسية.. إنها الرواية العاشقة والرواية الموقف، ونظرا لأن أحداثها تدور في باريس فربما كتب واسيني سيرته الخيالية أو سيرته المشتهاة، من خلال علاقة تجمع كاتبا يطارده الإرهاب بعارضة أزياء تصغره سنا، لكنه يكتشف أن العارضة ماهي إلا قنبلة موقوتة مكلفة باغتياله، الكاتب والجامعي والمنفي واسيني الأعرج تناول محنة بلده على ضيق الحب واتساع القضية، يقول بطل الرواية وهو يتأمل لوليتا الجميلة، «الجسد لا يحمل فقط طاقة الخوف، ولكن أيضاً انفجارات الحب».